مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٦) العدد (٢) ٢٠٢٢
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٦) No. (٢) 2022

الصمت بين العمق المعرفي والخواء الفكري في التجربة الصوفية

د. ميساء علي*

(تاريخ الإيداع ٨/٤ /٢٠٢١. قُبِل للنشر في ٢/٢٠ /٢٠٢٢)

□ ملخّص □

الصمت سمة الروح في معراجها المعرفي، ورحلة الذات بغية التماس حقيقة الغيب الماورائي؛ من هنا كان الصمت الذي يتأتى من الروح هو صمت معرفي؛ لأن الكلمات التي تنطق بها الروح تتدفق من عالم الصمت ، باعتبار أنَّ (الصمت والروح) ينتميان لبعضهما البعض ، فالفرق جليٌّ بين الصمت الخاوي الفارغ من الكلام؛ ليس لأنه لا يتضمن كلاماً، بل على العكس إنه حافل بضجيج الكلمات لكنها كلمات مجردة من الروحانية المتعالية .والصمت الذي يحتفي به الصوفي هو المناجاة الروحية المعرفية بين الذات الإنسانية والذات الإلهية؛ إنه معاينة ما هو حادث لحقيقته الجوهرية؛ فالصمت مواجهة ذاتية باطنية تبدو جليّةً في مواجهة الإنسان لذاته ، ومن ثمَّ مواجهة الوجود الشامل.

الكلمات المفتاحية: الصمت، الصوفي، المعرفة.

* دكتور مدرس–قسم الفلسفة–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة تشرين–اللاذقية–سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٦) العدد (٢) ٢٠٢٢
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٦) No. (٢) 2022

Silence between cognitive depths And intellectual emptiness

* Dr.Maysaa Ali

(Received 4/8 /2021. Accepted 20/2/2022)

□ **ABSTRACT**□

Silence is a characteristic of the soul in its cognitive ascension and the journey of the self in order to seek the truth of the metaphysical unseen.

Hence , the silence that comes from the soul is a cognitive silence because the words uttered by the soul flow from the word of silence considering that (silence and soul) belong to each other, the difference between empty silence and empty words is clear not because it does not include words, but on the contrary it is full of the noise of words stripped of article spirituality .

The silence that the Sufi celebrates is the spiritual and cognitive surprise between the human and the cognitive self; it is a preview of what is an accident of its essential truth. It begins with a mystical encounter and then confronts the universal existence.

Key words: silence – Sufi -knowledge

* DR. Department of philosophy, faculty of arts and humanities, Tishreen University, lattakia, Syria

المقدمة:

تسعى الصوفية الروحية دائماً بطموحها الجامح إلى تجاوز ذاتها إلى ما وراء وجودها، حيث الوجود أكثر اتساعاً وألقاً وتجدداً لا ينتهي، وهي في كل ذلك تعلم علم اليقين الحياة التي بمقدورها أن تمنحها إلى ذاتها لتعاود بها مكان إقامتها بحلتها الأصيلة محملة بألوان من المعارف الكثيرة وأطياف معنوية ترافق الذات في رحلتها المعرفية.

طالما كانت الرحلة الصوفية سفراً ومعراجاً باطنياً غير معلن للملأ، فقد كان الصمت زادها ووسيلتها في كل مراحلها؛ فبمجرد أن يقرر الصوفي السالك شدّ الرحال إلى عالم الغيب فإنه يقرر بصمت، ويعاهد محبوبه الأزلي على عدم النطق وإفشاء السر إذا ما منَّ الله عليه بنعمة الوصال، فيتعلم كيف يصمت ليصير صمته أصيلاً في ذاته يخلو به متى شاء فلا شيء يشغله وإن وجد ما يمكن أن يشغله فلا يراه ولا يشعر به، فشعور السالك مستغرق في عشق الصمت فيحمله الصمت إلى حيث عالم الحق، وكلَّما تقدم في معراجه الروحي نراه يصمت أكثر وأكثر ولكنْ في كل مرة يختلف صمته عن سابقه؛ فمرة يكون صمته دليل الحيرة المترددة الطافحة بالشكوك، وأحياناً دليل المحبة والوجد المفني، وأحياناً دليل الرؤية في حضرة المشاهدة؛ كما تراه يصل إلى الصمت المعرفي أو ما يسمى الخرس و غير ذلك كثير.

إذْ تتنوع وتتعدد صور الصمت حتى لحظة بلوغ الاتحاد وشهود الحق، فيكون الصمت أبلغ من الإفصاح؛ فقد تناهى الصوفي بكلِّه إلى حيث فضاء المعنى الصامت الناطق بتجلياته المعرفية اللامتناهية الواردة على قلب هذا الصوفي فيصمت لعظيم ما رأى، كما يصمت القلب قبل اللسان فالسكر بنشوة الصمت المعرفي تبدت آثاره، ولكن عندما يريد أن يحكي الصمت حاله فيقول متجاوزاً قيود العقل وأغلاله المنطقية وحدود اللغة وضيق عباراتها؛ عندئذٍ يشطح ويلبس الكلمة صمتها الذي به كان قد استشعر روحانيتها ومازال يختبرها في صورها اللامتناهية في أفقها الصامت، فمن لم يصمت لم يتذوق لم يعرف وبالتالي لم يصل، بل للأسف بقي حبيس الوعظ والإرشاد، أو القيل والقال، محجوباً بوجده عن صاحب الوجد وبعلمه عن صاحب العلم.

أهمية البحث وأهدافه:

لطالما كان الصمت مفهوماً مبهماً بقدر ما هو واضح؛ حيث يمكننا أن ندرجه تحت ما يسمى السهل الممتنع ؛؛ لذلك كان الخوض فيه والبحث عنه والتقصي عنه لاستنطاقه من أهم أهداف هذا البحث، وخاصةً أننا نتلمس الصمت في كينونتنا الباطنية، فالشعور به يمكن أن يسعفنا في تحليل هذا المفهوم ، ناهيك عن كونه يغلف الوجود الواقعي أو بتعبير أدق عالم يبتلع في جوفه عالماً آخر، وبالوقت نفسه ينبثق منه الوجود وكل ما ينبض بالحياة، حتى أنه مكمن ومقر الأسرار الوجودية؛ فقد كان الدور الكبير لأهمية الصمت في إنتاج المعرفة وتطور الوعي عند الإنسان؛ من هذا المنطلق كان البحث فيه مشروعاً وضرورة تستوجب فك شيفراته لفهم حقائق الوجود والله والإنسان.

منهجية البحث:

باعتبار أن الصمت عالم متعدد الاتجاهات متداخل في بنية الأشياء على اختلافها، فقد كان من الصعب الإلمام به لصعوبة الإلمام بحقائق الأشياء بكليتها؛ إلا أننا تقيدنا في الحديث عن الصمت في حيز التجربة الصوفية الروحية وما ينطوي عليه من جوانب معرفية وإيمانية، من حيث أنه يلازم التجربة الصوفية في بعض مراحلها مرة بالسلب فيكون مرفوضاً ومرة بالإيجاب فيكون ضرورة؛ مما جعل إمكانية أن يكون المنهج المتبع في بحثنا هذا هو المنهج

التاريخي لتقصي مفهوم الصمت تاريخياً. وبما أننا سنقف على تقصي عالم الصمت الرحب الفسيح بأبعاده وعلاقاته بالاعتماد على بعض تجارب الصوفية ومقارنتها مع بعضها، والوقوف على مضامين رمزية اللغة الصوفية من خلال المنهج الوصفي، والمنهج المقارن والتحليلي أيضاً.

المناقشة والنتائج:

١-يُخضِع البحث عددً من التساؤلات للإجابة عنها؛ وهي تحديد مفهوم الصمت لغوياً واصطلاحياً، وأهميته في الفكر الإسلامي الديني والصوفي كل على حدة.

٢-كما يتطرق البحث إلى استعراض أنواع الصمت والمفاضلة بينها وشرحها، كما يسلط البحث الضوء على دور الصمت في اكتساب المعرفة وحل اللغز (لغز الوجود والألوهة).

٣-يتعمق البحث في شرح نقاط الصمت التي يمر بها الصوفي في تجربته الصوفية والتمييز فيما بينها، موضحاً تجليات الصمت في علاقته مع الآخر الذي يحاوره معرفياً، من دون أن نغفل أهمية اللغة الصوفية في محاولتها احتواء الصمت والتعبير عنه مقابل ما يمنحه الصمت من الحياة والحيوية الدافقة للغة، فتنتفض ككائن حي ينمو ويزدهر مستعرضين ذلك بالشواهد والأدلة، لنخلص إلى مجموعة النتائج التي تمخضت عن هذا البحث المتواضع.

حدّ الصمت في اللغة العربية:

يبدو أن الصمت في اللغة العربية مطابق للسكوت وانعدام الكلام؛ فقد جاء في لسان العرب صَمَتَ يَصْمُتُ وصُمْتاً وصُمَاتاً وَأَصْمَتَ: أطال السكوت والتَّصمِيتُ التَّسكِيتُ والتَّصمِيتُ أيضاً: السُّكُوتُ. ورجُلٌ صِمّيتٌ أي سِكّيتٌ ...والصُّمْتَةُ بالضم مثل السُّكْتَةُ ...ما يُصْمَتُ به الصبي من تمرٍ أو شيءٍ ظريفٍ ...ويُقَالُ: ماذقت صُمَاتاً أي ماذقت شيئاً... ويُقَالُ: لم يُصْمِتْهُ ذاك أي لم يَكْفِهِ ...ويقال للرجل إذا اعتَقَلَ لسانه فلم يتكلم: أَصْمَتَ فهو مُصْمِتٌ[١].

السند القرآني للصمت:

بيّن القرآن أهمية الصمت وفضله في حيازة المراتب العلوية وقضاء الحاجات؛ فقد وردت آيات قرآنية في هذا الشأن يريد بها الله عز وعلا الحض على تعلّم الصمت كوسيلة للتقرب من الله، وطريقة لمناجاته والتضرع إليه والاستماع له، وكان ذلك في معرض حاجة مستحيلة التحقق للنبي زكريا عليه السلام الذي بلغ من العمر أقصاه، فأمره الله بالتزام الصمت والكف عن الكلام لقضاء حاجته بقوله تعالى:﴿قال آيتُكَ أنْ لا تكلّمَ الناسَ ثلاثَ ليالٍ سويًّاً﴾[٢]. والواضح لنا أنَّ الصمت نوع من الصيام كما اتضح في القرآن؛ ينقطع الإنسان عن الكلام بالمطلق فيحفظ لسانه من الوقوع في الزلل، ففيه النجاة والأمان من كل شر وظلم. كما ورد في سورة مريم عليها السلام عندما أمرها الله بالصمت لتكون ووليدها آية دامغة على قدرة الله المتجلية في النبي الموعود

[١] -محمد بم مكرم ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وَ محمد أحمد حسب الله وَ هاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، باب الصاد، مجلد٤، ج٢٨، ١٩٨٠، ص٢٤٩٢-٢٤٩٣.

[٢] - سورة مريم، ١٠.

عيسى عليه السلام، من جهة أولى واتقاءً لشر الناس لها ودفع الأذية عنها من جهة ثانية؛ بقوله تعالى:﴿فكلي واشربي وقَرّي عيناً فإما تَرَين من البشرِ أحداً فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلِّم اليوم إنسياً ﴾[٣]. وبتقصي حقيقة ومضمون تلك الآية نجد مرّة ثانية تطابق الصمت والصوم في الجوهر وهذا شرحه أبي عبد الله بقوله : (إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده إن مريم قالت إني نذرت للرحمن صوماً أي صمتاً فاحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم)[٤]. وفي كلتا الآيتين ما يجمع الرأي على أهمية الصمت وعظمة ثمراته، به نيل المطالب و تحقق الحاجات وطريق الحق. بينما ورد لفظ الصمت لفظاً جلياً مصرحاً به في قوله تعالى ﴿وإنْ تدعوهُمْ إلى الهُدى لا يتبِعوكُمْ سواءٌ عليكم أَدَعَوْتُمُوهُم أمْ أنتم صَامِتونَ﴾[٥]، وهنا الصمت عن قول مالا جدوى منه ليس لعيب في نوعية الكلام ، بل لقبح ما في نفوس المُلقى إليهم فيكون المفضل والمستحسن الصمت والترفع، ولو كان حقاً وقويماً فقد تساوى في حقهم الكلام والصمت لسوء بواطنهم ولعظيم غفلتهم عن الحق، ولظلمة حجابهم الذي استبد بأرواحهم. وقد جاء في القرآن أيضاً الصمت بمعنى السكوت بقوله تعالى:﴿ولمّا سكت عن موسى الغضبُ أخذَ الألواحَ في نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾[٦]؛ وقد كان لعلماء الدين الإسلامي وجهات نظر جميعها متقاربة وتتقاطع فيما بينا على تفسير سكوت الغضب الذي طغى على سيدنا موسى عليه السلام ، بانقطاعه وزوال القلق والاضطراب وحلول السكينة والاطمئنان واستعادة هدوء الروع.

الصمت في الفكر الإنساني:

لقد حظي الصمت باهتمام الفكر الإنساني بشكل عام على اختلاف منابعه الدينية والروحية والعقلية، وبشكلٍ خاص في الفكر الإسلامي؛ فقد أنزل الإسلاميون الصمت المكانة العظيمة لاقتدائهم وتمثلهم كلام القرآن الكريم والأحاديث النبوية، فقد جعلوه نقيضاً للكلام، حتى إنهم ميزوه عنه لبلاغته ورمزيته ،فالجاحظ على سبيل المثال اعتبر الصمت (الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، فالصامت ناطق من جهة الدلالة ومتى دلَّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان ساكتاً...)[٧] وقد وضح الجرجاني ذلك فقال: (ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ)[٨] .

كما تربع الصمت منزلة عظيمة؛ فهو سمة العارفين الذين شهدوا ما أشهدهم خالقهم ذاته وحقيقته يوم الميثاق العظيم وهم في عالم الأزل، حيث يقول الإمام جعفر الصادق: (الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجف القلم به، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة وفيه رضى الله)[٩] . كما لم تقف أهمية الصمت عند هذا الحد، بل كان دليلاً من

---

[٣] –سورة مريم، ٢٦.

[٤] –أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الكافي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة دار التب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧هـ، ج٤، ص٨٧.

[٥]– سورة الأعراف،١٩٣.

[٦]– سورة الأعراف،١٥٤.

[٧] –أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بلاط، ١٩٧٥، ج١، ص ٨١.

[٨] –الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص١٤٦.

[٩] –جعفر الصادق، مصباح الشريعة، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٨٠، ص ١٠١.

الأدلة على الحكمة الإلهية وتعلّمه ضرورة واجبة للفوز بمحبة الله، كما جاء على لسان الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (الصمت باب من أبواب الحكمة ... إنه الصمت يكسب المحبة...، إنّه دليل على كل خير)[١٠] فضلاً عن كونه يميز المؤمن عن الضال في قول علي كرّم الله وجهه في صفة المؤمن: (أنه كثير صمته...مشغول وقته)[١١] فالصمت علامة كمال العقل وحسن العبادة والفوز بالجنة؛ قال عيسى عليه السلام: (طوبى لمن كان صمته فكراً ونظره عبراً ووسعه بيته وبكى على خطيئته وسلم الناس من يديه ولسانه)[١٢].وأكد رسول الله ﴿ص﴾ على دور الصمت فقال: (ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة؟ فقال بلى يا رسول الله فاصمت لسانك إلا من خير أما يَسُرُّكَ أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة)[١٣]. فما كان من تلك المكانة العظيمة التي بلغها الصمت إلا أن تنبه المتصوفين إلى ضرورة تعلّم الصمت ففيه النجاة من كل شر بقولهم الصريح: (تعلّم الصمت كما تتعلّم الكلام، فإنْ كان الكلام يهديك، فإنَّ الصمت يقيك)[١٤]

الصمت في الفكر الصوفي:

لطالما كان القرآن الكريم مصدر التلقي والمشرّع للكثير من الأفكار عند الصوفية، فمن الطبيعي أن يلقى مفهوم الصمت أهمية بالغة، كونه أحد المفاهيم التي حضَّ القرآن على تعلّمها؛ فكان للصوفية شرف الاقتداء به خلال معراجهم الروحي؛ حيث عدّ الصمت ركناً أساسياً من أركان التجربة الصوفية، ناهيك عن أنهم وجدوه طريقاً للمعرفة فقد صنفوه تبعاً لأصناف الناس في اختلاف الدرجات المعرفية والعمق الروحي والفهم عن الله، لذلك كان الصمت على ثلاثة أنواع وهي:

١-**صمت اللسان:** يكون لعوام الناس فإن حدث ذلك يكون لحاجة أو طارئ أو هم أو فزع، أنه من قبيل حالة نفسية تعتري الإنسان فتؤدي به إلى السكوت عن الكلام، أو ربما لوقوع أمر ما على قلبه فيصمت لسانه ولم يعد ينطق. إلا أنّ أرقى تلك الحالات هي صمت الإنسان بقصد الصمت فيتعود اللسان على ذلك لتكون منه قلّة الكلام وانعدامه، آخذين في عين الاعتبار فوائد الانقطاع عن الكلام واللغو والنميمة وكل ما يندرج تحت مسمى الباطل من كذب وبهتان ونشر الفتنة وغير ذلك كثير، كما يدخل في هذا النوع من الصمت صمت الجوارح لذلك كان الصمت بهذا المنحى عبادة، حيث قال ذو النون المصري عندما سئل(من أصون الناس لقلبه؟ قال: أملكهم للسانه. وقال أيضاً ابن مسعود: ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان. أما علي بن بكار فقال: جعل الله لكل شيء بابين وجعل للسان أربعة أبواب فالشفتان مصراعان والأسنان مصراعان)[١٥]. فإذا كان صمت اللسان ضرورة مستحبة للمبتدئ السالك للتخلي عن المعاصي والتحلّي بالفضائل، فإنه يكون ضرورة لازمة وواجبة على من يجافي الأدب كقول الشبلي: (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون)[١٦].

---

[١٠] -محمد الريشهري، ميزان الحكمة، إيران(قم)، دار الحديث، ط١، مجلد ٥، ١٤٢٢هـ، ص ٢٢٠٣.

[١١] -المرجع السابق نفسه، ص٢٢٠٢.

[١٢] - محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، طهران، مكتبة الصدوق، ١٩٦٩، ص ٢٨،

[١٣] -محمد الريشهري، ميزان الحكمة، مجلد٥، ص٢٢٠٢.

[١٤] -أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود وَد. محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة بلا ط، ١٩٨٩م، ص٢٣٠.

[١٥] -أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٢٩.

[١٦] -المرجع نفسه، ص٢٢٩.

غير أنَّ الصمت المخصوص في بداية التجربة الصوفية لأي سالك صمت عن كل ما سوى الله، وحصر إجازة الكلام فقط في الإلهيات والحقائق العرفانية، وقراءة القرآن ربما من باب تعوّد اللسان على نطق الحق. يقول ابن عربي: (صمت باللسان عن الحديث بغير الله تعالى مع غير الله تعالى جملة واحدة)[١٧]. ثم يوضح ذلك بتعريفه للصمت قائلاً: (ترك كلام الناس والاشتغال بذكر الله ونطق النفس عن نطق اللسان إلا فيما أوجب الله عليه، مثل قراءة أمّ القرآن أو ما تيسَّر من القرآن في الصلاة والتكبير فيها وما شرع من التسبيح والأذكار والدعاء والتشهَّد والصلاة على رسول الله﴿ ص ﴾إلى أن تسلم منها فتتفرغ لذكر القلب بصمت اللسان)[١٨]. ثم إن ممارسة هذا النوع من الصمت يؤول بالإنسان إلى درجة أرفع وهي:

٢-صمت القلب. وهذا النوع من الصمت مخصوص بأهل القرب والأنس والكشف والإلهام ويحتمل فيه الوجه الذي تخالف فيه النفس هواها وتتجاهل وتجافي حديث نفسها لنفسها، فتكون الخواطر التي ترد على القلب إلهامات وإشارات ربانية تتميز بانخطافها السريع وزوالها المفاجئ كونها مؤقتة لا تستمر يقول ابن عربي: (والصمت صمت بالقلب عن خاطر يخطر له في النفس في كون من الأكوان البتة، فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه فقد خف وزره ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلَّى له ربه ،ومَنْ صمت قلبه ولم يصمت بلسانه فهو ناطق بلسان الحكمة، ومَن لم يصمت بلسانه ولا قلبه كان مملكة للشيطان ومسخرة له، فصمت اللسان من منازل العامة وأرباب السلوك وصمت القلب من صفات المقربين وأهل المشاهدات وحال صمت السالكين السلامة من الآفات وحال صمت المقربين مخاطبات التأنيس)[١٩]. ويذهب ابن عربي إلى أبعد من ذلك فيرى أن الصمت حالة أصيلة في كينونة الإنسان بعكس الكلام الذي هو حقيقة مآله إلى خالقه فيقول: (فالعبد صامت بذاته متكلم بالعرض، وأما حاله فهو أن يرى الله وإن خلق الكلام فيه، فالعبد هو المتكلم فيه كما هو المتحرك بخلق الحركة فيه)[٢٠]. وبالتدقيق في كلامه يتبين لنا أن ابن عربي يقول بفطرية المعرفة الصامتة المركوزة في جبلة الإنسان الروحانية ،وقد شهدت الروح عن صمت وبالصمت وفي الصمت خلق الوجود وأدركت الكيفية التي انبثق من خلالها الوجود، لذلك كان جدير بالروح أن تعود إلى الصمت الأصيل في ذاتها كبداية المعرفة وعلامة النضج، والقرب من الصمت الكلي فتحيا فيه وتزدهر (فمن التزم الصمت في جميع الأحوال كلها لم يبق له حديث مع ربه، فإنَّ الصمت على الإنسان محال في نفسه، فإذا انتقل من الحديث مع الأغيار إلى الحديث مع ربه كان نجياً مقرباً مؤيداً في نطقه، وإذا نطق نطق بالصواب لأنه ينطق عن الله)[٢١]. فهذا النوع من الصمت صمت القلوب المستغرقة في العشق الإلهي عن مشاهدة ما سوى الله يعكس التشاركية الروحانية بقيمها الجمالية والجلالية في الأنفس حتى تتهيأ لصمت السر.

٣-صمت السر: وبعد ذلك يعلو بصمت قلبه عن كل الخواطر ويسمو إلى ما يسمى بصمت السر؛ فالحق لا يكشف سره إلا لعارفيه المخلصين والأولياء المقربين في حضرة شهوده ومجالسة أنسه والتنعم بقربه، كي لا يكون السر مباحاً والمعرفة مبتذلة، فيعمد الحق إلى الباس العبد العارف حلية الصمت من هول عظمة مشاهدات التجليات الإلهية التي تلجم اللسان، فيقع صريعاً بين مخالب الصمت المطبق. يقول الرومي:

---

[١٧] – محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، ص٣٠٨.

[١٨] –دعلي عبد الفتاح محمد عبده، المعراج عند ابن عربي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،٢٠١٧ ص٢١٥.

[١٩] –المرجع السابق نفسه، ص٢١٧.

[٢٠] –المرجع السابق نفسه، ص٢١٨.

[٢١] –محيي الدين بن عربي، حلية الأبدال بلاط، بلا تا، ص ٥،

أصِخ، لو تمكّنَ منكَ الوفاءُ.
الوَحدانيةُ مع الرفيقِ تعني أنه لا تكونُ بمن تكون،
تكونُ مَحَل السَكينَةِ: مَنزِلَةٌ: رؤيةٌ
واللُّغةُ حَشاها الشُهُود*.[٢٢].

هنا تتوضح علاقة الرؤية بالمشاهدة في نقطة الصمت الكبرى كما تبدت عند الرومي، بحيث تكون الرؤية القلبية نتيجة المشاهدة أتم وأكمل من المشاهدة ،وتمامها يكون بتمام المشاهدة؛ فهي أعلى مراتب الكشف من حيث هي تنزلات إلهية وتجليات عرفانية على قلب الصوفي، فالرؤيا هنا آخر مقام العشق الإلهي تتجلى فيها رؤية العاشق لقدرة المعشوق على إزاحة الأستار والحجب وكل ما سواه، فيراه العاشق من وراء حجاب الصمت لانعدام رؤية الأشياء والغير عن عيني قلبه، فتكون الرؤيا غاية الوصول التي بمقتضاها يشهد الوحدة في الكثرة الشهودية، وبالعكس يشهد الكثرة بالوحدة بمعنى أن شهود الحق وصمته هو من يمنح وجوداً للوجود، ولكن يبقى وجوداً شهودياً سرعان ما ينفيه العارف بعد زوال الشهود بأن لا وجود مستقل له على الحقيقة، كما تهب الرؤية (رؤية التجليات وحقيقة المطلق) للرائي سكينة بها تسكن جوارح العارف وتهدأ برؤية لحظية للمطلق، وبشهود سكينة أرواح الموجودات، وشهود صمت السوى لاستيلاء كمال عشق الحق ومعارفه على أرواح كل الموجودات واجتيازاً لكل المسافات والحجب المادية والمعنوية ورؤية حقيقة بواطن الأشياء ورؤية الحق بلا واسطة. وبالمجمل يمكننا القول إنَّ التجربة الصوفية تمر بمراحلها مترافقة في بدايتها بصمت هو السكوت، حيث يعمد السالك إلى تعلم العلوم وآدابها وممارسة الرياضات الروحية وإتقانها والتحلي بالفضائل، فإنْ صَدَقَ تعلّمه تأهّل إلى مرتبة صمت المحبين الفانيين الذين يرتقون بصمتهم وفنائهم إلى قمة الصمت وأعلاها درجة، فيصيبهم الخرس وعلامته انطماس واختفاء آثار الصمت في الوحدة الشهودية وتلاشي حجاب الصمت بحد ذاته في لحظة الشهود، بحيث لا يبقى سوى حقيقة الصمت ويقينه، حيث يبلغ الصوفي الصامت العارف منزلة(يقين اليقين) وهي شهود صاحب الوجود الشامل، وهي أعلى درجات الاتحاد والاتصال الروحي . يقول الحلاج : [٢٣]

سكوتٌ ثمَّ صَمتٌ ثُمَّ خَرسُ وعلمٌ ثمَّ وجد ثم رَمْسُ

الخلوة بوابة الصمت:

إن ولوج الروح إلى عالم الصمت لا يكون إلا بالخلوة، باعتبارها طقساً روحياً يشحذ قوى النفس فتتحلى بالفضائل وتزدان بتيجان المعارف، فتتلاشى الأوهام من جبة العقل بينما يحل الصفاء والسكينة سويداء القلب؛ عندئذٍ تُجْذِب الروح عالم الصمت لتحتفي به في فردوسها البهي. لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فسرعان

* الشهود: رؤية الحق بالحق بشكل عام. والشهود المجمل: هو رؤية الأحدية في الكثرة، أما شهود المُفَصّل وهي رؤية الكثرة في الذات الأحدية. (انظر: التهانوي، محمد علي. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج، نقل: د. عبد الله الخالدي. ترجمة: د. جورج زيناتي، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ج١، ط١، ١٩٩٦م، ص ١٠٤٤).

[٢٢]–جلال الدين الرومي، رباعيات مولانا جلال الدين الرومي، تأويل: محمد عيد إبراهيم، القاهرة: دار الأحمدي للنشر، ط١، ١٩٩٨، ص٣٩.

[٢٣] –أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج، ديوان الحلاج ويليه كتاب الطواسين، تحقيق: كامل مصطفى الشيبي وبولس نويا اليسوعي، ط٣، بغداد: منشورات الجمل، ٢٠٠٧، ص٥٨.

ما يسحب الصمت الروح إلى عالمه ليعرّفها بحقيقتها وحقيقة الأسرار، فتفهم عنه أنَّ الوصال معقود بين الأرواح في تشاركها المعرفي ولا سبيل لذلك إلا باتباع الخلوة بدايةً، فهي نوع من التأمل تأمل الذات لذاتها تاركةً معيقات الفكر وما قد تعلَّمه الإنسان من تجاربه المعرفية السابقة وتصوراته التي هي تصورات السلف ليس أكثر. الخلوة تعني الانعتاق بكليتك إلى كليته وعمقك الباطني إلى عمقه اللامتناهي، فتكون الخلوة بهذا المنحى وسيلة لنقترب من ذواتنا أكثر نتعمق بصمت حيث الوجود الزاخر باللآلئ المعرفية متجاوزين حدود الزمان والمكان، وفي صميم الوجود اللانهائي يلوح من بيده الأمر ويشير بلا إشارة وينطق بلا كلام، فلا حديثاً أعمق في حضرة الصمت. غير أنَّ الخلوة التي يركز الصوفي عليها لا تقتصر على الجسد فقط بل تمتد لتشمل الروح أيضاً، فيكون الصمت في اعتزال الأبدان نتيجة طبيعية لصمت اللسان دون صمت القلب الذي يتطلب صدق اعتزال القلب والسير به إلى حضرة القدس، لذلك كان صمت القلب ضرورة لازمة لرؤية تجليات الله المنعكسة على مرآة القلوب وترجمة ما تتضمنه من أسرار وألغاز. كما كانت الخلوة ببلوغ قمة الاعتزال التلقائي العفوي الذي تطيقه الروح وتستسلم له طوعاً، فلا حاجة أن تجهد روحك في انتزاع الفكر؛ فالروح عادت لفطرتها الأولية فكانت كالطبيعة في انسيابها وانسجامها وتدفقها مع الروح الكلي الرأس مفرغ الفكر هنا اجتياح كامل للصمت.

استنطاق الصمت في التجربة الصوفية:

يختلف الصمت الذي يعمد الإنسان إلى التحلّي به وتعويد النفس عليه عن الصمت الذي يُقَدّم للنفس كهبة ربانية صيانة للسر من إفشائه من جهة أولى، وحفاظاً على العارف من أن يُتَّهم بسوء أدب أو سوء معرفة ممن ليسوا أهلاً للصمت المعرفي من جهة ثانية، فهم لم يختبروا في ذواتهم صمت الوجود الذي بمقتضاه تتدفق التجليات الإلهية وتبوح بصمتها كما لو أنها تقول في مقام الكلام والإفصاح.

الصمت من جنس الإيمان، فالتداخل الحاصل بينهما لا غرابة فيه؛ فوجود العالم مرهون بوجود الصمت الذي انبثق منه كما تنبثق الحركة من السكون، ومن الطبيعي أن ترتطم نفس المرء بحاجز الصمت الذي عليه تجاوزه بعد الشعور به لأن الصمت عالم وجود الحق الذي لا يريد أن يكشف عن ذاته وسره إلا من وراء حجاب.

إلَّا أنَّ اختراق عالم الصمت لا يكون إلا بالتماهي فيه والولوج إليه، والانصهار التام بين صمت العارف المؤقت والصمت المطلق؛ فإذا قلنا بالصمت المؤقت هذا لأن الصمت في الإنسان غير أصيل ولا هو بالفطري لا يمت لجبلته، لكن قد يكتسب اكتساباً لموافقة استعداد مركوز في الكينونة الإنسانية، ومهيأ لذلك (فصمت الله مختلف عن صمت الإنسان إنه ليس مناقض للكلمة :الكلمة والصمت متحدان في الله كما تؤلف اللغة طبيعة الإنسان، فإن الصمت هو سجية الله، لكن كل شيء في الطبيعة واضح كل شيء هو في الوقت نفسه كلمة وصمت)[٢٤]. وكأن الصمت هو روحانية الكلمة واختبار هذه الروحانية تحتاج إلى معايشة الكلمة، لذلك كان التوحيد الناشئ عن التجربة الصوفية يقينياً، يستمد يقينه من اختبار هذا الأحد الذي ليس كمثله شيء فيزداد التوحيد الإيماني الشرعي به عمقاً ويرجع إلى أصالته في معاينته؛ لذلك نطق المكزون السنجاري معبراً عن صمته[٢٥]:

---

[٢٤] –ماكس بيكارد، عالم الصمت، تقديم: جابريل مارسيل، ترجمة: قحطان جاسم، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ط١، ٢٠١٨، ص٢٠٠

[٢٥] – انشراح حسيكة، في فضاء المعنى "المكزون السنجاري، ابن عربي، سوريا: دار المرساة، ٢٠٠٥، ص٣٠.

أثبتُ ما عاينتُ من نحوها بمحو ما عاينت من نحوي

فاللقاء ما كان ليتم لولا أن صَمَتَ المكزون عن أناه وماديته، وارتقى بصمته عن الماديات وحجاب الأنا ليصمت ب(الذات الإلهية) بمعنى آخر موت صمت وزواله ببقاء صمت آخر واستمراره، عندئذٍ يرى صمته جزءاً من صمت الذات الإلهية هنا؛ وفي هذه النقطة بالذات يندمج صمت الإنسان في الصمت اللانهائي ويعود إلى أصله اللانهائي. حيث يكون اللقاء بين الله والإنسان بتأثير جاذبية الصمت الإلهي، ينجذب الإنسان نحوه فيجود عليه بمعرفة حقيقة ذاته التي لم يكن يعيها من قبل، فقد كان (صمته) نائماً بوجود الأنا ليدرك فيما بعد أن الصمت روحانية الوجود والصور به حياتها وحياة الموجودات، كما يدرك الفرق بين موت كان يحسبه حياة، وحياة تولدت من الصمت فكانت السكينة والطمأنينة ثمرتَيّ نتاجه المعرفي، هنا يستوي الصمت والكلام لأنه يعلم أن في صمته كل الكلام الذي يريد أن يخبر به عن الله وسره. قال الحلاج[٢٦]:

لي حبيبٌ أزورُ في الخلواتِ حاضرٌ غائبٌ عن اللَّحظَاتِ

ما تَرَاني أُصغِي إليه بِسِرّي كي أَعِي مَا يَقُولُ مِنْ كلماتِ؟

كَلِماتٍ مِنْ غَيْرِ شَكلٍ ولا نَق طٍ ولا مِثلِ نَغمَةِ الأصواتِ

وبالعودة إلى بدايات الخلق نرى أن الكلمة كانت في البدء، والتي لا تختلف بمضمونها الجوهري عن الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي؛ فالكلمة جاءت من كُنْ فكانت وأفصحت عن روحانيتها في الإنسان الكامل عندما تجلى الله في الإنسان، فكانت هذه لحظة انقطاع صمت أزلي أبدي وبداية صمت أقل وطأة على فهم الإنسان صمت يتجلى في تفتح الألوهة في الإنسان الإفصاح عن ذاتها دون كلام ،لأنَّ المحاورة صامتة بين الإنسان وخالقه تعلو على كل المحاورات لما فيها من الاتساع اللانهائي، لاحتواء كل المعارف الإلهية وحيازتها في هذا النموذج المتعالي الذي ندعوه الإنسان الكامل أو قطب الأقطاب المدد الروحاني والمعرفي للأقطاب الفرعية،

ولما كان الإنسان الإله من عالم الصمت، كان وحده دون سائر الخلق المحدِّث بالسرِّ العظيم (إنها علامة حب من الله أن يكون اللغز مفصولاً دائماً عن الإنسان بطبقة من الصمت، وذلك هو تذكير أن على الإنسان أن يبقى صامتاً ليقترب فيه من اللغز عندما لا يكون هناك سوى الصخب في داخل الإنسان وحوله، فمن الصعب الاقتراب من اللغز حين تكون طبقة الصمت مفقودة، يصبح الاستثنائي مربوطاً بالعادي بالتدفق الروتيني للأشياء، ويقلص الإنسان الاستثنائي إلى مجرد جزء من العادي إلى مجرد روتين آلي)[٢٧]. ولكن قد يصمت العارف قبل أن يتكلم وبذلك يكون قد اختصر مرارة وقسوة الطريق إلى الله بكل عثراته؛ كصمت البسطامي الذي كان عنواناً لبداية طريقه الصوفي، فالصمت الذي تجلّى في شطحه لم يكن سوى صمت طويل امتلك من المصداقية والفاعلية الإيجابية التي تبدَّت في وصاله ومعارفه ومعراج روحه، فسبق صمته نطقه وكأنَّ

[٢٦] –أبي المغيث الحسين بن منصور، الحلاج، ديوان الحلاج ويليه كتاب الطواسين، ص٣٧.

[٢٧] –ماكس بيكارد، عالم الصمت، ص١٩٨.

الله قد منَّ عليه بهبة الصمت المعرفي فتمعن قوله: (ولقد نظرتُ ربي بعين اليقين بعد أن صرفني عن غيره وأضاء فيّض بنوره فأراني من عجائب سرّه وأراني هُويّتَه، فنظرت بهويته إلى إنائيتي فزالت: نوري بنوره وعزتي بعزته وقدرتي بقدرته ورأيت أنائيتي بهويته وأعظامي بعظمته ورفعتي برفعته فنظرت إليه بعين الحق فقلت له من هذا؟ فقال: هذا لا أنا ولا غيري [....] فلما نظرت إلى الحق بالحق رأيت الحق بالحق فبقيت في الحق بالحق زماناً لا نفس لي ولا لسان ولا أذن لي ولا علم حتى أن الله أنشأ لي علماً من علمه ولساناً من لطفه وعيناً من نوره)[٢٨]. يتبين لنا أن البسطامي صمت قلبه حتى هبط الإلهام وتفتحت بصيرته بنور العزة الأبدية فزالت الحجب المادية والمعنوية وتجلت له حقيقة الله في صمت الوصال فنطق في حالة الصمت بما لا يُقال، فضاقت اللغة على احتواء ما وسع قلبه من المعاني فاضطر إلى تحميل الكلمة أكثر مما يحتمل لفظها الظاهر مما أدى به إلى الشطح.من هذا المنطلق يمكننا أن نعترف بأن روح البسطامي استغرقت بالصمت الأبدي وتلاشت في بحاره العلوية السرمدية وغاص الوجود في الوجود، لكنَّ الأمر مختلف عما هو عليه عند رابعة العدوية التي استبدَّ الوجد بروحها فكان عين الحجاب التي لم تحسن تجاوزه واختراق عالم الصمت فظلت حبيسة العشق الإلهي تأمّل قولها: (حبي الله قد ملأ قلبي إلى حدٍ لم يجعل ثمة مكاناً لمحبة غيره أو كراهيته)[٢٩].

وللأسف بات الوصال حلماً ترتجيه رابعة عوضاً عن اختباره، مما حرمها في نفس الوقت متعة ما بعد الوصال وعيش الأبدية وطغى القلق على روحها بدل السكينة والخوف من حرمان هبة العشق الإلهي ومقام الخلّة. تقول[٣٠]:

راحتي يا إخوتي في خلوتي	وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد عن هواه عرضاً	وهواه في البرية محنتي
قد هجرت الخلق جميعاً أرتجي	منك وصلاً فهو أقصى منيتي

ولكن الصمت قد يكون مذموماً في بعض الحالات؛ حيث يختنق الصمت بضجيج العالم المحيط، فلا يحصد الصامت سوى الهم واليأس والتخبط، فالصمت في غير موضعه مرفوض ومذموم؛ لذلك أجاب أبو حفص على سؤال أي الحالين للولي أفضل؟ الصمت، أو النطق؟ فقال: (لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى ضعفي عمر نوح حتى ينطق)[٣١]. فالصمت الذي لا تعول الصوفية عليه هو الصمت الخاوي معرفياً والبعيد عن العبادة، إنه صمت سلبي يفصح عن عجز وضعف صاحبه بعكس الصمت الإيجابي الذي يحمل كل مضامين التواصل والتفاعل والبلاغة في الإفصاح بأبلغ ما تصوغه الكلمات وتعبر عنه اللغات، لدرجة أنها قد تقف عاجزة أمام لغة الصمت التي تقول مالا يُقَال؛ وقد كان للحلاج قولٌ كافٍ عن الصمت

---

[٢٨] –هنري كوربان، تاريخ الفلسفة العربية، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، راجعه وقدم له الإمام موسى الصدر دار عويدات، لبنان، ط٢، ط١٩٩٨،١ ص٢٩٠.

[٢٩] –سهام خضر، رابعة بين الأسطورة والحقيقة، لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠، ص١٩٨.

[٣٠] –المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٩

[٣١] – أبو القاسم بن هوزان القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٢٣٠–٢٣١.

الباطل الذي لا يجني صاحبه منه سوى الحيرة التي تقود إلى الضلال والبعد عن الحقيقة، لذلك آثرت أن أسميه بالصمت المحيِّر المُضِل يقف فيه السالك بين التردد والشك محصوراً بقيد الزمان والمكان. يقول[٣٢]:

مَنْ رَامهُ بالعَقلِ مُستَرشِداً أسرحَهُ في حَيْرةٍ يلهو
قَدْ شَابَ بالتَّدليسِ أسرَارِه يقولُ في حيرتهِ: هَلْ هُوَ؟

فالصمت كان سببه الحيرة (حيرة العقل) ووقوفه عاجزاً في فك شفرات الأسرار اللدنية، حيث لا مكاناً له في عالم الروحانيات؛ فإن كانت التجربة الصوفية للعقل فيها نظر، غير أنها لا تؤسس عقلياً وإنما بمشاركة وجدانية حدسية ننفذ من خلالها إلى عمق الوجود الحق الصامت وسبيلاً لذلك الارتحال في عمق كينونتنا؛ فهي صمتنا الذي ننطلق من خلالها متجاوزين قيود الزمان والمكان حيث اللاتعيّن فيندمج الجزئي في الكلي، فالحيرة المباركة التي تنشر بركتها على الصوفي نتيجة بارقات التجلي الإلهي بصور لانهائية، وبالتالي بأسرار لدنية ومعارف روحية فيضية لا تنتهي هي التي تصيب العارف بالصمت إنَّه صمت مترفع عن مصاف الأوهام، صمت معرفته يقينية لا نهائية ، صمت مؤدب في حضرة الحق الذي يتبدى في حلل كثيرة من التجلّي تميط الجب عن الأسرار اللدنية، ما أجلَّ هذا الصمت! إنه صمت السر عن قول السر صمت العارفين الواصلين المتحققين بالكشف والمشاهدة ومن ثم الوصال ف(المشاهدة سر القلب، ولا يمكن التعبير عنها بأية لغة ولا بأي مجاز ولا بأية صورة ولهذا فإن الصمت علاقة المشاهدة، كما أن الكلمة-كما يقول الهجويري-علاقة المعاينة)[٣٣].عندئذٍ يكون الصمت علامة الوصول وبلوغ السعادة الأبدية والمقامات الرفيعة والمنازل العلوية . إذن العشق الذي حرم رابعة من متعة الصمت المعرفي هو ذاته من صيَّر روح الرومي لتحلِّق في فضاء الصمت العلوي، فكانت منزلة الإمامة هي منزلة حازت عليها روحه بعد أن شهد الكل قائماً بالله وعرف عن الله بالله فكانت حجته في علمه وخليفته في أرضه قائماً بالقسط والحق عالم بالغيبيات. يقول الرومي[٣٤]:

فقطرتُه ماء الحياة، وشطّه موضع الإقامة
إنْ وقعْتَ في الحوض، أَعطِه كلَّ ذاتكَ
لا تحركْ يداً ولا قدماً، مهارةً منك أو شهامةْ
الزمْ التسليم والصمت تماماً، فلستَ دون الجمع إماما
فلن يبلغ أحدٌ، بغير هذا العشق الإمامة

ومن أبرز تجليات الصمت عند الرومي الرقص الروحاني الذي يترافق مع تدفق الموسيقا، فتتداخل وجودياً ومعرفياً فالرقص عند الرومي كان حالة تعبيرية عن حالة العشق بين العاشق والمعشوق على المستوى الأنطولوجي، سرعان ما تحوَّل إلى حالة معرفية ببلوغ الإتحاد بالذات المعشوقة، كل حركة مِنْ حركات المحبين العاشقين تعكس تجليات العشق الإلهي في تساميه، وكأنَّ العلاقة تأخذ المنحى الجدلي الصاعد والهابط، إذْ

[٣٢]-أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج، ديوان الحلاج ويليه كتاب الطواسين، ص٩٦.

[٣٣] -محمود قنبر، المعرفة الصوفية "مدخل نفسي"، جامعة قطر، كلية التربية، لاط، لاتا، ص٦٥.

[٣٤] - الرومي، جلال الدين. قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز، نقل وتعليق: د. محمد السعيد جمال الدين، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، بلا ط،٢٠٠٨، ص ١٧٠-١٧١.

يكون صمت العشق بوابة للولوج لعالم الغيب في طريقٍ تصاعدي، يعود العاشق مزداناً بالسكينة والطمأنينة بطريقٍ نازل بالإشراقات الإلهية التي تنعكس في مرآة الرقص يقول الرومي:

أنصِتْ إلى الأطياف داخلَ القصائد.
دعها لتأخُذَك حيثُ تريد.
اتبعْ الإشاراتَ الباطنيَّة، ولا تخلفْ مُقدمة منطقية. (٣٥)

إن امتثال الرومي لصمت الكلمات الروحية التي يسمعها عن الله والولوج إلى جوهرها العميق يجعل من تجسيدها على المستوى الوجودي أمراً أسهل فيما لو صاغها في عبارات يعتريها النقص في التعبير والبلاغة، لذلك قال إرنيست هيلّلو: (على ارتفاع معين لم يعد المتأمل يستطيع قول ما يراه، ليس لأن موضوعه يفتقر لكلامه لكن لأنَّ الكلام يفتقر لموضوعه وصمت المتأمل يصير ظلاً جوهرياً للأشياء التي لا تقول ...كلامه (يقصد المتأمل))(٣٦).

ما يمكننا قوله إنَّ العفوية والتلقائية والمباشرة والوضوح جميعها مجتمعةً تميز اللقاء الصامت بين الله والإنسان العارف، كأن اللقاء كان قد سبق منذ الأزل؛ وتأكيداً على أنَّ إلهاً يسكن في الإنسان ففي (عالم الصمت يهب الشيء وجوده إلى الإنسان مباشرة، إنه يقف أمامه فوراً كما لو أنه نقل للتو عن طريق عمل خاص من الصمت إنه يبرز بوضوح قبالة خلفية الصمت لا توجد هناك حاجة لإضافة أي شيء إليه لجعله واضحاً)(٣٧).

الاستنتاجات والتوصيات:

بالمجمل نرى الصمت وسيلة من وسائل ترويض النفس، ورياضة روحية تسعد بها النفوس التائقة لملاقاة المعنى والتلاشي في فضاء صمته المطلق ، والتنعم بالهدوء والسكينة مرتهن بالولوج إلى عالم الصمت المجاوز للماديات إلى حيز الروح والمفارق للوهم بامتلاك الحقيقة ليعتلي فضاء المعرفة الأصيلة ، بذلك يمنح الصفاء والنقاء الداخليين بتجلياتهم الشعرية أو النثرية أو الطقوس التعبيرية، إنَّه الصمت يمنح طاقة النور في القلب فيشرق على العقل الذي يمتح منه المعرفة والعرفان ،فالصمت سبيل بوسطته نتلمس الخيوط الأولى لفجر المعرفة وننشد من خلاله ضالتنا، الصمت يقترب بنا من الخالق فنشعر بلطفه وعظيم معارفه وهباته ومدَدِه على الوجود، ففي الصمت تكمن مواجهة الوجود الشامل فنتمكن من إدراك إشاراته، كما أن للحكمة التي يزودنا بها الصمت دوراً رئيساً في إدراك المستويات العميقة للوجود ومراتبه وعلاقته مع خالقه مترافقة مع بلوغ أرقى مستويات الشعور الواعي الروحاني، الصمت يهيئ البيئة المناسبة للحضور الإلهي في ذاتنا ويعمقها ويختبر وعينا في مواجهة الوجود لاكتشاف التخوم العصية على الإدراك، علّها بالصمت تتفتح وتفصح عن نفسها .

(٣٥) الرومي، جلال الدين. رباعيات مولانا جلال الدين الرومي، تأويل: محمد عيد إبراهيم، القاهرة: دار الأحمدي للنشر، ط١، ١٩٩٨، ص٤٥.
(٣٦) –ماكس بيكارد، عالم الصمت، تقديم: جابريل مارسيل، ترجمة: قحطان جاسم، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ط١، ٢٠١٨، ص٨٢.
(٣٧) –ماكس بيكارد، عالم الصمت، ص ٨٣.

قائمة المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم.

٢-أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، *الكافي*، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، (طهران: مؤسسة دار الكتب الإسلامية)، ١٣٧٧هـ، ج٤، عدد ص٦١٦. .

٣-أبو القاسم القشيري، *الرسالة القشيرية*، تحقيق: د. عبد الحليم محمود وَد. محمود بن الشريف، (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب)، بلا ط، ١٩٨٩م، عدد٦٣٩.

٤-أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين*، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بلا ط، ١٩٧٥، ج١، عدد ص٤١٢.

٥-أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج، *ديوان الحلاج ويليه كتاب الطواسين*، تحقيق: كامل مصطفى الشيبي وبولس نويا اليسوعي، (بغداد: منشورات الجمل)، ط٣، ٢٠٠٧، عدد ص٢١٦.

٦-الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي)، عددص٧٢٣.

٧-انشراح حسيكة، *في فضاء المعنى "المكزون السنجاري*، ابن عربي، (سوريا: دار المرساة)، ٢٠٠٥، عدد ص ١٠٣.

٨-جعفر الصادق، *مصباح الشريعة*، (لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ط١، ١٩٨٠، عدد ص٢٠٥.

٩-جلال الدين الرومي، *قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز*، نقل وتعليق: د. محمد السعيد جمال الدين، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب)، بلا ط ،٢٠٠٨، عدد ص٢٦٧.

١٠-جلال الدين الرومي، *رباعيات مولانا جلال الدين الرومي*، تأويل: محمد عيد إبراهيم، (القاهرة: دار الأحمدي للنشر)، ط١، ١٩٩٨، عدد ص٩٥.

١١-سهام خضر، *رابعة بين الأسطورة والحقيقة*، (لبنان: دار الكتب العلمية)، ط١، ٢٠١٠ ص١٩٨.عدد ص ٣٨٤

١٢-علي عبد الفتاح محمد عبده، *المعراج عند ابن عربي*، (جامعة القاهرة: كلية دار العلوم)،٢٠١٧، عدد ص ٦٢٤

١٣-ماكس بيكارد، *عالم الصمت*، تقديم: جابريل مارسيل، ترجمة: قحطان جاسم، (بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين)، ط١، ٢٠١٨، عددص٢٠٨

١٤-محمد الريشهري، *ميزان الحكمة*، (إيران(قم)، دار الحديث)، ط١، مجلد ٥، ١٤٢٢هـ، عددص٢٢٧٥.

١٥-محمد بن علي بن بابويه القمي، *الخصال*، (طهران، مكتبة الصدوق)، ١٩٦٩، عدد ص ،

١٦-محمود قنبر، المعرفة الصوفية "مدخل نفسي"، جامعة قطر، كلية التربية، لاط، لاتا، عدد ص ٨٨.

١٧-محيي الدين بن عربي، حلية الأبدال بلاط، بلا تا، عدد ص ١١

١٨-هنري كوربان، تاريخ الفلسفة العربية، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، راجعه وقدم له: الإمام موسى الصدر لبنان: دار عويدات، ط٢، ١٩٩٨، عدد ص٣٧٥.

الموسوعات والمعاجم:

١-التهانوي، محمد علي. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج، نقل: د. عبد الله الخالدي. ترجمة: د. جورج زيناتي، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون)، ج١، ط١، ١٩٩٦م، عدد ص٢١٨٥.

٢-محمد بم مكرم ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وَ هاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، باب الصاد، مجلد٤، ج٢٨، ١٩٨٠، عددص٥٠٠٦.